شرح الأصول الستة

لِلْإمَامِ الْمُجَدِّدِ
مُحَمَّد بنِ عبْدِالْوَهَّابِ بنِ سُلَيْمانِ التَّميميِّ

تفريغ الشرح للشيخ د. علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى

التفريغ لمْ يُراجَع من قِبَل الشيخ

1437هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم اغفر لشيخنا والحاضرين والمستمعين.

يقول الإمام محمد بن الوهاب رحمه الله تعالى إمام الدعوة الإسلامية وحامي حمى الملة الحنفية في رسالته المباركة "الأصول الستة":

مقدمة

من أعجب العجاب وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب؛ ستة أصول بيَّنَها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل.

الحمد لله رب العالمين وصلّ وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أما بعد:

في مستهل هذا اللقاء، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعله لقاءً نافعاً مباركاً معموراً بالعلم النافع، إنه سميعٌ مجيبُ الدعاء.

في هذا اللقاء أعلق تعليقاً موجزاً على رسالة "الستة الأصول" لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وهي من رسائله النافعة المباركة التي تميزت باختصارها وتنبيهها على قضايا يحتاج إليها كل مسلم ومسلمة.

يقول الإمام رحمه الله بعد البسملة والاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ.

"من أعجب العجاب وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب"

"الغلّاب" من باب الخبر عن الله سبحانه وتعالى على صيغة المبالغة، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الغالب لا غالب لأمره.

"ستة أصول بيَّنَها الله تعالى بياناً واضحاً" إذن هذه الأصول مستنبطة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومن سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي ليست من باب الأفكار والآراء المحضة، وإنما من باب الاستنباط من كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

"**للعوام**" يعني فضلاً عن العلماء "**فوق ما يظن الظانون**".

"**ثم بعد هذا غلط فيه كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم**"

"**ثم بعد هذا**" وهذا وجه العجب فيها لأنه قال "**من أعجب العجاب**"

"**ثم بعد هذا**" أي بعد هذا البيان الواضح الجلي الذي يفهمه البليد والعامي "**غلط فيه كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم**" وهذا وجه الغرابة، فالشيء إذا كان واضحاً يفهمه العامي، إذن من باب أولى أن يفهمه الذكي، ولكن أن تكون المسألة واضحة، لا تعسر على العامي أو البليد، ثم يغلط فيها الذكي، فإن المسألة فيها تناقض واضطراب يدعو إلى العجب والغرابة "كيف يكون هذا؟!"

تذكرون قصة جبريل لما جاء مجلس النبي ﷺ على هيئة رجل، لماذا تعجب الصحابة؟ تعجبوا أنه رجل لا يعرفه أحد، ومع ذلك لا يُرى عليه أثر السفر، فلو كان من أهل المدينة كان الناس عرفوه، ولو كان من خارج المدينة لكان عليه شعث السفر، لكن الرجل ثيابه نقية، بيضاء، نظيفة، رائحته طيبة، شعره مدهون، مُرجّل، ولا توجد عليه أي علامة من علامات السفر والغربة، فهنا تعجب الصحابة، ثم المسألة الثانية يسأل ثم يقول صدقتَ، فكونه يسأل معناه أنه لا يعرف الحكم، وكونه يقول صدقت معناه أنه يعرف الحكم، فهذه الأمور المتضادة تبعث على التعجب والاستغراب.

وهكذا ينبه المؤلف الأصول قضايا واضحة جداً لمن تدبر وتأمل الكتاب والسنة، ثم بعد ذلك يغلط فيها الكثير من الأذكياء والعقلاء.

ما سبب هذا الغلط؟

أنهم أعرضوا عن تلقي الهدى والعلم من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فلو أقبلوا على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ إقبال متعلم متفهم متدبر، طالب للعلم والهدى، لاتضح لهم الأمر، ولكنهم ذهبوا يطلبون الهدى والعلم من كتب الفلسفة وعلم الكلام والتصوف وهذه المصادر الموبوءة، فحرمتهم تلك المصادر من الاهتداء بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

بعضهم يقرأ كتاب الله، ولكنه يقرؤه للبركة، وليس للاستنباط والاستدلال.

بعضهم يقرأ كتاب الله ﷻ، ولكن يحاكم القرآن على قواعد عنده، فيحرّف ويصرف معاني الآيات بحيث تتوافق مع قواعده التي تلقاها من علم الكلام أو نحوها من المصادر، فلهذا ما استفادوا.

"إلا أقل القليل "من هم هؤلاء أقل؟ الذين درسوا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على ضوء عقيدة السلف الصالح، هؤلاء الذين انتفعوا بما أنزل الله على عبده ورسوله محمد ﷺ.

الأصل الأول

إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى، بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين، والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتِّباعهم.

هذا الأصل الأول وهو إخلاص الدين لله سبحانه وتعالى والبراء من عبادة ما سواه، هذا الأصل الذي يريد المؤلف تقريره في هذه الرسالة المباركة، أن الله ﷻ أمر بإخلاص الدين له ونهى عن عبادة ما سواه، وبينه الله بياناً واضحاً جلياً بأساليب لا تُعد ولا تُحصى. ومن ذلك البيان:

- أن **يأتي الأمر الصريح بالإخلاص** ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 2] وفي مثل قوله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5] كل واحد يفهم لغة العرب وهو سليم الفطرة يعرف معنى هذا الأمر ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 2] يعني لا تَشُب عبادتك لله ﷻ بعبادة غيره، ولا تشب قصدك لله بقصد وإرادة غيره سبحانه وتعالى، فكل من يفهم لغة العرب ويسمع هذا الأمر الإلهي يفهم منه أنه مأمور أن يُفرد الله بالعبادة وأن لا يعبد أحداً سواه.

- ويأتي بأسلوب آخر ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36] **عبادة الله وعدم الإشراك** به هو معناه ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 2]، ﴿وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾ يعني أي نوع من أنواع الشرك:

  - لا شركاً **أكبر** ولا شركا **أصغر**،

- لا شركاً **ظاهراً** ولا **خفياً**،
- لا شركاً **قولياً** ولا **عملياً**،

فكل أنواع الشرك تدخل في قوله ﴿شَيْئًا﴾. كذلك أيضاً لا تشرك مع الله أيّ شيء كان مما قد يعبده العابدون"

- فلا تشرك مع الله **مَلَكا**، ولا تشرك مع الله **رسولا**،
- ولا تشرك مع الله **نبيا**، ولا تشرك مع الله **وليا**،
- ولا تشرك مع الله **شجرا**، ولا تشرك مع الله **حجرا**،

فيدخل في قوله ﴿شَيْئًا﴾ كل ما يُعبد من دون الله ﷻ، فالعربي أو من يفهم لغة العرب ويسمع هذا الكلام وهو على الفطرة السليمة السوية ما تلوثت فطرته بالشركيات والخرافيات والفلسفة والعلوم التي تصرف عن التوحيد، يفهم أن الله ﷻ يأمره أن يفرد الله بالعبادة ولا يصرف شيئاً من العبادة لغير الله.

- ومن الأساليب أيضاً أن الله ﷻ يخبر أنه **ما أرسل الرُسل إلا من أجل أن يدعو الناس إلى عبادة الله** وحده ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36] ما معنى هذا الخبر؟ معناه اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

- كذلك أيضاً من الأساليب التي جاء بها كتاب الله ﷻ أنه **يخبر أن مصير من أشرك إلى نار جهنم** خالداً مخلداً فيها كما قال الله ﷻ ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: 72] إذن من يسمع هذا الكلام يفهم أنه نهيٌ عن الشرك، تحذير عن الشرك، وأمرٌ بإفراد الله بالعبادة.

- كذلك يأتي أسلوب آخر **يبين أن الشرك ذنب لا يُغفر** ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48] إذاً معنى ذلك اجتنبوا الشرك، وأخلصوا الدين لله سبحانه وتعالى.

- ويأتي أسلوب آخر يهدد، حيث **توعد الله ﷻ من أشرك مع الله غيره أن يحبط جميع عمله**، حتى لو كان هذا محمد ﷺ أو الأنبياء من قبله وحاشاهم أن يشركوا بالله، ولكن المقصود أن يُقال للناس: إذا كان الرسل

والأنبياء لو أشركوا لحبطت أعمالهم، إذن أنتم من باب أولى، فأنتم دونهم بمراحلهم، إن أشركتم لحبطت أعمالكم، مثل ما قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65] وقال بعد ما ذكر **18** نبياً في سورة الأنعام ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88].

- كذلك من الأساليب أن الله ﷻ يقص علينا قصص الأنبياء والرسل مع الأمم، ثم يبين أن من آمن ووحد الله نجا وسلم ودخل الجنة، ومن كفر وأصر على الشرك، فإن الله يعذبه في الدنيا ويعذبه في الآخر، مثل ما أخبر عن قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وفرعون وقومه وهكذا، إذن معنى هذه الأخبار أن وحدوا الله ﷻ ولا تشركوا به شيئاً.

والأساليب كثيرة، هذا مجرد الإشارة إلى شيء منها، فانظر إلى تعدد الأساليب في بيان التوحيد والتحذير من الشرك، وفي الآخر ماذا صار؟ قال:

"ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار"

يعني من خفاء العلم وفشو الجهل، حصل أنه كثير من الناس عبد مع الله غيره، فرجعت في الأمة في كثير منهم عبادة الأوثان والأصنام وعبادة الأضرحة وعبادة الأولياء وعبادة الأنبياء عبدت مع الله ﷻ حتى صارت الدعوة إلى التوحيد في نظر كثير من الناس تعني سب الصالحين وتنقص الصالحين، ولهذا قال:

"أظهر لهم الشيطان الإخلاص" يعني إخلاص العبادة لله **"في صورة تنقص الصالحين"**

إذن هذه شبهة دخل منها الشرك على الناس، وهي أن الله ﷻ أوجب علينا محبة الصالحين، وهذه مقدمة مسلمة؛ لأن **"أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله"**، فلابدّ من محبة الصالحين وعلى رأسهم الأنبياء والرُسل، ولكنهم فسروا محبة الصالحين:

- بأن **تتوسل** بهم، وأن **تتبرك** بهم،
- أن **تذبح** لهم وأن **تنذر** لهم،
- و**تدعوهم** وتستغيث بهم،

إذن بدل ما كان هذا حباً في الله صار حباً مع الله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البقرة: 165] فبدل ما كان حب هذا العبد الصالح تعبدا لله ﷻ صارت محبته محبّة تعبّد، ولهذا صرفوا له العبادة، فلبّس عليهم الشيطان ونقلهم من المحبة في الله إلى المحبة مع الله ﷻ، كما نبّه إلى هذا الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله تعالى.

فالمقصود أن دعاة الصوفية والخرافة والقبورية حتى يمرروا باطلهم على الناس ويتقبل الناس منهم الدعوة إلى عبادة غير الله صوروا هذه العبادة على أنها محبة للصالحين، فقالوا: هذه ليست عبادة وإنما هذا توسّل والله ﷻ يقول في كتابه الكريم ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: 35] إذن نحن نتوسل بالصالحين، كيف تسمون التوسل شركا؟ فلو قالوا للناس أشركوا مع الله واعبدوا الأولياء، من سيقبل منهم؟ لن يقبل منهم أحد، لكن لما قيل لهم: "تعالوا توسلوا بالصالحين، هؤلاء لهم مكانة ولهم جاه عند الله، وأنتم غارقون في الذنوب والخطايا والتقصير"، فمشت هذه الحيلة على كثير من الناس.

فقوله "**لما صار على أكثر الأمة ما صار**" يعني من فشو الجهل وغياب العلم، مثل ما حصل في قوم نوح، فمتى عبد قوم نوح الأصنام وصور الصالحين؟ لما نُسي العلم، مات الجيل الذي كان يعرف سر هذه التماثيل، وجاء جيل لا يعرفه، فتساءلوا: "**لِما هذه التماثيل؟**" لا أحد يعطيهم الجواب، فاستغل الشيطان الفرصة وقال: "هذه كانت آباؤكم وأجدادكم إذا مرضوا دعوها، وإذا أقحطوا جاء لهم الجدب والقحط استغاثوا بها، فيُمطروا وتُشفى أمراضهم وتتحقق طلباتهم، ولعلهم جربوا فاستُدرجوا وحصل لهم بعض ما طلبوا فتنةً من الله ﷻ فعُبدت هذه الأصنام مع الله سبحانه وتعالى.

هكذا كانت جزيرة العرب على دين إبراهيم عليه السلام، وجاء إسماعيل وبنى البيت مع أبيه وبقي في مكة وتزوج ورُزق بالذرية ونشر الدعوة والعلم والتوحيد واستمروا على هذا الخير إلى أن جاء رجل ملك من ملوك العرب يُقال له "**عمرو بن لُحي الخزاعي**"، جاء في زمن جهل، فسيَّب السوائب وبَحَّرَ الْبَحَائِرِ وجلب الأصنام ووزع الأصنام الكبار على قبائل العرب وغيّر دين إبراهيم وحوّل الناس إلى الوثنية، فما بقي من دين إبراهيم إلا بقايا، شيء في الحج وشيء في الدعاء وهكذا.. حتى هذا الباقي مخلوط بالشرك، لذلك كانوا يقولون في تلبية الحج "**لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك**".

وهذا معنى قوله: **ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين، والتقصير في حقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتِّباعهم.**

الأصل الثاني

أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بياناً شافيا تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المرسلين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه. ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك.

ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقول به إلا زنديق أو مجنون!

الأصل الثاني أمر الله بالاجتماع على الحق ونهي عن التفرق فيه، وهذا الأمر واضح في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

📖 قال الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 102] إلى آخر الآية، فهذا أمر بالاعتصام بحبل الله، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ إذا سئل شخص عن معنى هذا الآية، وحتى لو لم يفهم بالنص مثل معنى كلمة ﴿بِحَبْلِ﴾، ومعنى كلمة ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾، لكنه يفهم من الأسلوب المعنى العام للآية أن الله يأمر بالاجتماع وينهى عن التفريق.

📖 كذلك قال الله ﷻ ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 31].

📖 وقال ﷻ أيضًا ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105]

📖 وقال أيضًا ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46]

إذن الآيات وليست الآية كلها تأمر بالاجتماع وتنهى عن التفرق.

"**وجاءت السنة زادتها وضوحًا**" كم الأحاديث التي فيها الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرق كثيرة جدًا،

فمثلاً في صحيح مسلم يقول ﷺ "**إن الله يرضى لكم ثلاث: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**". إذن جاء الحديث بمثل ما جاءت به الآية.

وكم الأحاديث والروايات التي فيها "**لا تدابروا.. لا تهاجروا**" أيضًا كثيرة، فالسنة النبوية جاءت تأمر بالاجتماع وتنهى عن التفرق.

تأمر بالإصلاح وتنهى عن الإفساد ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114] الشريعة تأمر بالاجتماع وتنهى عن التفرق، ولما درسنا هذه الآية في تفسير ابن كثير، أورد ابن كثير رحمه الله عددا من الأحاديث تحت هذه الآية:

- منها حديث "**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا، أو يقول خيرا**" فانظر رخصت في الكذب من أجل الإصلاح بين الناس، وحرمت النميمة ولو كانت حقًا وصدقًا وحرمت الغيبة وهي حق وصدق بنفسها؛ لأنها تؤدي إلى فساد ذات البين.
- كذلك أيضًا حديث أبي ذر رضي الله عنه "**ألا أخبركم بما هو أفضل من درجة الصلاة والصدقة والصيام؟" قالوا "بلى، يا رسول الله" قال: "إصلاح ذات البين**".
- وأورد ابن كثير أيضًا حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه "**ألا أدلك على تجارة رابحة؟ تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا**"، ابن كثير ذكر أن في إسناد هذا الحديث عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر وقال: هو لين. ولكن الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة ذكر هذا الحديث وذكر له عددًا من الطرق وصححه في السلسلة الصحيحة بمجموع طرقه.

فإذن الشريعة تأمر بالاجتماع على الحق وتنهى عن التفرق في الدين.

وقد أخبر النبي ﷺ محذِّرا وليس مقِرا أن هذه الأمة سوف تفترق في الأمة افتراقًا كثيرًا، ولكن هذا الإخبار من باب التحذير، يعني احذر أيها المسلم أو المسلمة أن تكون واحدًا من أولئك الذين تفرقوا في الدين ولم يستمسكوا بالحق.

وقد جاء حديث معاوية، وحديث أنس بن مالك وأكثر من **عشرين** حديث تخبر أن هذه الأمة سوف تفترق إلى **73** فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وهي من كان على ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه.

كذلك أيضًا جاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه **"فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين.. الحديث"**

فالشريعة تأمر بالاجتماع وتنهى عن التفرق، ولكن ما الذي حصل؟ قال الشيخ رحمه الله:

"ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين"

يعني في نظر كثير ممن يلبِّس على الناس، فقد قل العلم النافع وفشا الجهل حتى صار كثير من الناس يرى أن العلم والفقه في الدين هو مخالفة الكتاب ومخالفة السنة، فصاروا يرمون من يدعوهم إلى الاجتماع على الحق بالصفات السيئة.

قال: **"وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقول به إلا زنديق أو مجنون!"**

يعني أن بعض الناس لجفائه وقسوة قلبه وبعده عن نور الكتاب والسنة يعادي ويخاصم دعاة السنة الذين يأمروهم بالاجتماع على الكتاب والسنة ويلمزهم ويرميهم بأسوء الألقاب والأوصاف حتى يقول ممن يدعو الناس إلى الاجتماع على الكتاب والسنة يصفه بأنه زنديق و بأنه مجنون.

وهؤلاء في الحقيقة ورثة الذين كانوا يقولون على الرسل ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: 52] فهذه تركة المشركين، تركة أعداء الرسل، وهؤلاء للأسف لهم نصيب من هذه التركة، لأنهم واجهوا أتباع الأنبياء والرسل بمثل ما واجه الرسلَ أولئك المشركون، لكن لا نقول أن من قال لمصلح: "يا مجنون! يا سفيه! يا كذاب!" أنه مشرك أو مرتد، ولكن نقول أن هؤلاء لهم وجه شبه بأولئك المشركين، وهم المعادون لأتباع الرسل يتفاوتون في الضلال والانحراف:

- ففيهم **الكافر والزنديق**،
- وفيهم **المبتدع والضال**،
- وفيهم **الجاهل المقلد** لغيره،

فليسوا على درجة واضحة.

فالمقصود أن هذا الأمر خفي على كثير من الناس ممن ينتسب إلى العلم، فصاروا يحاربون من يدعوا إلى اجتماع الناس على الكتاب والسنة، ويخاصموهم ويرموهم بأسوء التهم، ويريدون من الناس أن يبقوا على ما هم عليه من التعصب للآراء والمذاهب والجماعات والفِرق.

التفرق في زمن المؤلف وما قبله، وفي زماننا الحاضر، فهذه الجماعات التي تُسمى اليوم بالجماعات الإسلامية هي صورة من صور التفرق في الدين، الإسلام ليس فيه جماعات، الرسول ﷺ يقول الجماعة واحدة فقط **"كلها في النار إلا واحدة"**، فليس في الإسلام إلا جماعة واحدة، لا اثنتين ولا ثلاثة ولا أربعة ولا عشرة، هي جماعة واحدة، **ما هي هذه الجماعة وما هي مواصفاتها؟** هي الجماعة المستمسكة:

- بالكتاب،
- وبالسنة،
- وبعقيدة السلف الصالح،

وعلى هذه الطريقة سارت هذه الجماعة من محمد ﷺ إلى أن تأتي الريح الطيبة لتقبض أرواح المؤمنين كتبهم وعقائدهم، وتقريراتهم، ودينهم واحد.

ولكن تعال إلى هذه الجماعات والفرق تجد بينها اختلافًا كثيرًا، **وما السبب؟** لأن مصدرها ليس الكتاب والسنة وعقيدة السلف الصالح، وإنما مصادرها أفكار بشرية، فكل جماعة تتخذ لها منهجا ترتضيه وتسير عليه، ثم تنشق عنها جماعة، ثم تنشق عن الجماعة التي انشقت جماعة أخرى، وهكذا، فهذه الجماعات فرّقت الأمة وخالفت كلمتها وشتت شملها وللأسف، **فالحذر من هذه الجماعات**،

- سواءً سُميت **إسلامية**،

- أو سميت **جهادية**،
- أو حتى لو جاءت جماعة **وسمت نفسها "سلفية"** وهي تخالف الكتاب والسنة، فلا كرامة لها،

فهذه التسمية لا تزيدها إلا انحرافًا، لأنها زادت على انحرافها الكذب على السلف الصالح، والكذب على دين الله، فالعبرة ليست بالأسماء وإنما العبرة بالحقائق، فلا نغتر بهذه الشعارات وهذه التسميات التي تعلنها بعض الجماعات التي تدعي السلفية وهي في الحقيقة تحارب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الأصل الثالث

أن من تمام الاجتماع: السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبدا حبشيا، فبيَّن الله هذا بياناً شافياً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، ثم صار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟!

الأصل الثالث هو الأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور، والنهي عن نزع البيعة ومخالفة ولي الأمر، وهذا الأمر جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ بألفاظ واضحة، مثلاً:

- قال الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59] فهذا أمر صريح يفهمه من يفهم لغة العرب أن الله ﷻ يأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور.
- أيضًا جاءت السنة النبوية تؤكد هذا المعنى في أحاديث كثيرة جدًا، فلا يكاد يخلو كتاب من كتب الحديث من ذكر شيء منها، ومن ذلك قول النبي ﷺ **"على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية الله، فلا سمع ولا طاعة".**
- ويقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه **"بايعنا رسول الله ﷺ فكان فيما أخذ علينا، بايعنا السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، ، وأثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله".**
- حديث آخر **"ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعنَّ يدا من طاعة، فإن من نزع يد من طاعة لقي الله ولا حجة له".**

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، انظر على الأقل كتاب الإمارة في صحيح مسلم، تجد في هذا جملة من الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب.

تريد مصدرًا نافعًا جدًا في هذا الباب؟ كتاب أخينا وشيخنا الشيخ عبد السلام بن برجس رحمه الله "**معاملة الحكام في الكتاب والسنة**" ذكر فيه جملة كثيرة من الأحاديث في هذا الباب.

فإذن هذ الأصل مبيّن في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وهناك أيضًا نصوص للصحابة وللتابعين لهم بإحسان، وسنتهم القولية والعملية كلها تؤكد على ضرورة السمع والطاعة لولاة الأمور:

- سواءً كان هؤلاء الولاة **أبرارًا أم فجارًا**،
- وسواءً كانوا حكام **عدل** أم حكام **جور وظلم**،

الشريعة أمرت بالسمع والطاعة لهم جميعًا ما داموا هم في دائرة الإسلام ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59] يعني من المسلمين، أما إذا ارتدوا وتوفرت فيهم شروط الكفر والردة، فهنا ليس لهم سمع وطاعة، أي كبيعة شرعية، ولكن أيضا في الوقت نفسه لا يجوز الخروج عليهم مع الضعف والعجز؛ لأن هذا يؤدي إلى فساد عريض.

وانظر في موضوع الكفر، قال ﷺ "**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**" فهذا التكفير ليس لآحاد الناس، وإنما مرجعه للعلماء الراسخين، وهم الذين يستطيعون أن يحكموا أن شروط التكفير قد توفرت في هذا الحاكم، وأن الموانع التي تمنع من تكفيره قد خلت. هذا الأصل مبين في الكتاب والسنة.

"فبيَّن الله هذا بياناً شافياً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً"

قال: "**وقَدَرًا**" يعني ما جرى من الحوادث يؤكد هذا المعنى، فالناس ينظرون ونظروا وراءه، لما كانت الأمة محققة لهذا الأصل الثالث، وهو الاجتماع على الولاة:

- **يسمعون** لهم **ويطيعون** لهم،
- **ويوقرونهم ويهابونهم**،
- **ويدعون** لهم **ولا يتمردون** عليهم،

كان المسلمون أقوياء وكان المسلمون أعزة وكان لهم التمكين في الأرض، انظر إلى حال المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان إلى آخر حياته قبل أن تقع الفتنة، كيف كان المسلمون؟ كان المسلمون أقوى ما يكون، الجهاد قائم والعدل قائم وهناك عزة وغنى وكل ما يحتاج إليه المسلمون الحمد لله حتى أتت الفتنة وتمرد الناس على عثمان ﵁ في آخر حياته، فانشغل المسلمون بأنفسهم. هل تستطيع الأمة الإسلامية أن تجاهد وتدعو إلى الله وهناك مشاكل وحروب في داخلها؟ لا تستطيع، يحصل النقص العظيم.

وهكذا لما اجتمعت الأمة بعد ذلك على معاوية في عام الجماعة واتحد المسلمون تحت راية واحدة، فاستأنفوا دعوتهم وجهادهم وانطلقوا شرقًا وغربًا في نشر دين الإسلام.

ولما تشتعل الفتنة في بلاد المسلمين يضعف ويقل هذا الخير:

- **وينشغل** المسلمون بعضهم ببعض،
- **ويسفك** بعضهم دم بعض،
- **ويخربون بيوتهم** وديارهم ودولهم بأيديهم والعياذ بالله.

إذن حتى من جهة القدر يعني من جهة الواقع الذي يجري يميز الناس ويعرف الفرق بين حال الاجتماع على الإمام، وحال التمرد والخروج عليه، ولهذا كان الصحابة أحرص ما يكونون على تحقيق السمع والطاعة لولاة الأمور حتى وإن كانوا أصحاب نقص، أدرك بعض الصحابة زمن **الحجاج بن يوسف الثقفي**، وكانوا تحت إمرة الحجاج بن يوسف، لكن كانوا يعاملونه معاملة ولي الأمر:

- **فيصلون** معه ويحجون معه،
- **ولا يشقون** عليه العصا،
- **ولا يؤلبون** الناس عليه،

وهم يرون في سياسته الظلم والجور، ويكفي أن النبي ﷺ قال **"يخرج في ثقيف كذاب ومُبير"** ومبير تعني: مهلك، مفسد، متهور في موضوع الدماء، والعلماء:

❖ نزّلوا هذا الحديث على **الحجاج بن يوسف الثقفي**،

❖ ونزلوا الكذّاب على **المختار ابن أبي عبيد الثقفي**.

فالمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا مستمسكين بهذه النصوص مع أمرائهم سواءً كانوا أبرارًا أم فجارًا.

"ثم صار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر ممن يدعي العلم"

هذا في زمن المؤلف وهذا أيضا في زماننا، فكثير ممن يتزي بزي العلم ويدعيه يجهل هذا الأصل، وكثير منهم لا يجهله، ولكن للتربية الحزبية أو للتربية البدعية التي نشأ عليها، فإنهم لا يحب هذه الأحاديث وهذا الأصل، اللهم إلا إن تولى حزبه الحكم، هنا يخرجون آيات وأحاديث السمع والطاعة ويدعون الناس إليها، ولكن حين لا تكون الدولة لهم، يكتمون هذه الأحاديث ويخفونها، وإن ظهرت أو سئلوا عنها حرفوا معانيها يمينًا وشمالاً.

وبعض هؤلاء طبعوا تفسيرًا للمصحف، ولما جاؤوا عند قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59] قيّدوا "أولي الأمر" يعني " أهل الصلاح والعدل"، يعني إذا كان الحاكم عليك ليس صالحًا وليس عادلاً، إذن لا سمع له ولا طاعة وهذه عقيدة الخوارج.

وبعضهم يرى أن بعض صور السمع والطاعة والنصح لولي الأمر لا تصلح، ولهذا تجده يخطب الجمعة ولا يدعو لولاة الأمور، يحاول أن يدعو للمسلمين شرقًا وغربًا ولكنه لا يدعو لولاة الأمور، لأنه يرى أن الدعاء لولاة الأمور ليس داخلاً في حقوق الراعي على رعيته، مع أن العلماء الربانيين لما شرحوا حديث "الدين النصيحة" بينوا أن من النصح لولي الأمر أن تدعو له بالصلاح والعافية وحسن البطانة، **لأنه إن صلح الحاكم:**

- صلحت بإذن الله **سياسته**،
- وصلح **المسؤولون** الذين يعينهم
- وصلحت بالتالي **أحوال الرعية**،

وإذا فسد الحاكم:

- اختار **الأعوان والوزراء** الفاسدين
- وساس الناس **سياسة فاسدة**،
- **وجرّ الناس** إلى الفساد.

تخيل بلدًا مسلمًا يتولى عليه مثلاً الرافضي، هل تظن أنه يشيِّد ويعمُر مدارس السنة ويطبع كتب السنة ويقرب علماء السنة؟ لا، سيستميت في نشر دين الرافضة وفي محاربة دين السنة، لو تولى على الناس صوفي خرافي؟ ماذا سيفعل إن كان في بلده قبور وأضرحة تُعبد؟ هل سيهدمها؟ بل يرممها ويزيدها بنياناً وتشييدًا ويشجع الناس عليها، فيفسد الناس، فصلاح الحاكم صلاح للرعية، وبالتالي فساد الحاكم أيضا في الغالب ينال الرعية.

وبعض الناس يخالف الشرع في باب السمع والطاعة كله أو في أجزاء منه، تجده لا يخرج على ولي الأمر بالسلاح:

- ولكنه **يتكلم بكلام نتيجته** خروج الناس علي ولي الأمر،
- يحرض عليه **وينشر مساوئه**، سواءً حتى لو كانت صدقًا أو اخترع المساوئ من عنده،
- **يفسر سياسته** بتفسيرات معينة تثير الناس وتغريهم عليه،

هذا أيضا ينافي الاجتماع والسمع والطاعة، فعلى الشاب المسلم وعلى المسلمين عموما أن يحذر من مثل هذه الدعوات المغرية، فلا تغتر بهذا الكلام ولو صدر من شخص عليه سيمة الصالحين، لو كان الذي يصدر الخلاف والشقاق على ولي الأمر من زاهد، من عابد.

ماذا قال النبي ﷺ عن الخوارج الذين دينهم التمرد على ولاة الأمور؟ يقول النبي ﷺ للصحابة **"تحقرون صلاتكم عند صلاتهم وصيامكم عند صيامهم وقراءتكم عند قراءتهم"** يعني يصفهم بالاستكثار من العبادات، أهل صلاة وأهل صوم وقراءة قرآن، ولكن ذلك كله لا ينفعهم، ولهذا قال النبي ﷺ بعد أن وصفهم بهذه الأوصاف **"لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"** طيب.. وصلاتهم وصيامهم وقراءتهم؟ أفسدوها

بالعقيدة الفاسدة التي جرتهم إلى التكفير غير حق واستحلال الدماء بغير حق، يقول النبي ﷺ **"أخوف ما أخاف عليكم رجل من أمتي قرأ القرآن حتى صار رِدئا للإسلام ورئيت عليه بهجته ثم غيره إلى ما شاء الله"** غير معاني القرآن **"فانسلخ منه ونبذه وراء ظهره وخرج على جاره بالسيف ورماه بالشرك، قال قلت يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أم الرامي" قال: "بل الرامي"** قال عنه ابن كثير: إسناده جيد وهو في صحيح ابن حبان.

فهذا الشخص حافظ للقرآن وصاحب صلاة وصاحب صيام وصاحب عبادة وصاحب الزهد والتقلل في الدنيا وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ولكن يكون صاحب عقيدة فاسدة تحمله على التكفير واستحلال الدماء.

فهم لا يتحاشون من أي دم، واحد ما تحاشى من دم عثمان وما تحاشى دم علي رضي الله عنهما، فهل تظنه لمسلم عنده قيمة؟ لا يمكن أن يحترم دم أحد إلا من يوافقه على نفس العقيدة، وحتى إذا اختلفوا فيما بينهم كفّر بعضهم بعضًا، فالحذر الحذر من عقيدة الخوارج وعقيدة المعتزلة والتي للأسف اغتر بها الكثير من المسلمين اليوم.

لقد قلنا في الأصل الأول أنهم يسمون عبادة الصالحين توسلاً ومحبة، واليوم دين الخوارج يسمونه "القول بالحق" فمن يتمرد على ولي الأمر ويسلك مسلك الخوارج في الإنكار والإثارة يسمونه **قوالا بالحق وشجاعاً ولا يخاف لومة لائم**، وكثير من الناس يسمع هذه الأوصاف الفخمة، فيسلك نفس هذا المسلك؛ لأنه يريد أن يكون شجاعًا وقوالا بالحق وممن لا يخاف لومة لائم، وهذا كله دين الخوارج.
تراه يخطب خطبة رنانة طنانة في التحريض على ولي الأمر، وإذا أُنكر عليه قال: قال رسول الله ﷺ **"أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"**. ولكن أنت الآن عندما تكلمت على المنبر، عند من تكلمت؟ تكلمت عند المصلين، عند بعض رعية السلطان، أنت تكلمت عند رعية السلطان ولم تتكلم عند السلطان نفسه، فكيف تطبق هذا الحديث؟ إذا كنت عند السلطان تكلم وأعطه كلمة الحق، لكن كثير من هؤلاء يطعن في ظهر السلطان، وإذا قابله يكيل له المدح والثناء.

فالشاهد أن بعض الناس يخلط بين قول كلمة الحق وبين التحريض الممنوع على ولي الأمر:

- **فكلمة الحق عند السلطان** تكون عنده، تسمعه ويسمعك، وتكلمه ويكلمك،
- **وتكون أيضًا سرًا**، كما جاء في الحديث الآخر "من كان عنده نصيحة لذي سلطان فلا يبديها علانية".

ممكن تتكلم بحضرة السلطان وعنده ناس تنكر عليه في حالة، وهي في حال أن يكون تأخيرك للإنكار يترتب عليه مفسدة، ومثال ذلك أن يأمر السلطان بقتل شخص ظلمًا وعدوانا وسيُنفذ الأمر الآن، فلو تقول سآتي غدا حتى أكلمه بيني وبينه، سيموت الرجل، لا يوجد المجال للتأخير، فتسعى وتبذل جهدك لاستنقاذه بقدر الإمكان، فالمهم أن هذا الأصل يجب أن يُنتبه له، فما أكثر أن يضل فيه الناس ولا سيما الشباب المحب للخير في هذا الزمان.

الأصل الرابع

بيان العام والعلماء، والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم. وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم﴾ [البقرة: 40]**، إلى قوله قبل ذكر إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾** [البقرة: 122] **كالآية الأولى.**

ويزيده وضوحاً: ما صرَّحتْ به السنة في هذا من الكلام الكثير البيّن الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء! وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم: لبس الحق بالباطل! وصار العلم الذي فرضه الله على الخلق ومدحه، لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون! وصار من أنكره وعاداه وجدَّ في التحذير عنه، والنهي عنه؛ هو الفقيه العالم!!

في هذا الأصل يدعو الشيخ إلى التفريق:

- بين العلماء وبين من تشبه بهم،
- وبين العلم النافع والعلم الضار،

والله ﷻ أثنى على العلم، والمقصود به العلم الشرعي "قال الله، قال رسوله" هذا هو العلم الذي يمدحه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالنبي ﷺ يقول **"من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"** فهذا هو العلم المحمود، علم الوحي.

والنبي ﷺ وصف العلماء بأنهم ورثة الأنبياء، فأي علم ورث الأنبياء؟ علم الطب أو ميكانيكيا أو فيزيا أو ماذا؟ ورثوا العلم الشرعي، علم الوحي، فإذاً جاء العلم ممدوحًا ومحمودًا في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ فالمقصود به علم الكتاب والسنة "قال الله، قال رسوله ﷺ"، فهذا الذي حمده الله وأثنى عليه وأثنى على أهله، وهم الذين يتعلمون العلم ويعملون به، فإذن:

- **العلم المحمود** هو علم الكتاب والسنة،
- **والعالِم المحمود** هو الذي يعلم الكتاب والسنة ويعمل بهما.

الصنف الأول: فمن تصدر للناس يعلم ويفتي وينصح ويدعو، هل هو محمود مطلقًا؟ لا ليس محمودًا مطلقًا ولا مذمومًا مطلقًا، فإنما ننظر كان يتكلم بجهل ويفتي بجهل ويدرس بجهل، فهذا مذموم، تذكرون حديث **"إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتَّخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم"** وفي لفظ عند البخاري **"فأفتوا برأيهم"** أي بالرأي المجرد، **"فضلوا وأضلوا"** والحديث في الصحيحين، إذن هنا ذم من يتكلم في دين الله بغير علم **"رؤوسًا جهالاً"**.

الصنف الثاني: عندنا طائفة أخرى، وهي تعلم الجواب الصحيح ويعرف المعلومة الصحيحة ولكن تخفيها وتكتمها ولا تبينها للناس، فالذي يكتم العلم بغير مسوغ شرعي هذا مذموم والعياذ بالله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: 159] فهذا النوع ملعون ومذموم والعياذ بالله.

الصنف الثالث: عنده علم ولكنه يلبس الحق بالباطل، إذن هو يدعو للباطل وللبدع والخرافات والانحراف والضلال، ولكن حتى يروج بضاعته الفاسدة، فإنه يطعِّمها ويغطيها بشيء من الحق، حتى إذا سمع الناس "قال الله وقال رسوله" اقتنعوا به، لكن بعد "قال الله وقال رسوله" ماذا يفعل؟ يرمي عليهم البدع

والمحدثات فيتقبلون، كدجال، وكاهن الذي يأتيه الشيطان ويخبره بخبر من أمر الغيب الذي التقطه مسترق السمع من الملائكة، فيصدُق مرة وإذا صدق مرة يكسب ثقة الناس، ثم يكذب مئة كذبة، لأن الناس يتذكرون الصدق، وينسون الكذب، فيروج عليهم الكذب بسبب تلك المرة التي صدق فيها، وهذا حتى يروج بضاعته يأتي ببعض الآيات والأحاديث والنقول عن السلف، ولكنه يحرف معانيها إلى المعنى الباطل.

وقصد المؤلف أن الله عَزَّ وَجَلَّ:

- ❑ أمر بني إسرائيل **بالوفاء بالعهد**، والذي يكون بالجمع بين العلم والعمل.
- ❑ كذلك نهاهم أن **يلبسوا الحق بالباطل**،
- ❑ ونهاهم أن **يكتموا الحق**،
- ❑ ونهاهم أن يأمروا الناس **وينسوا أنفسهم**،

إذن هذه الصفات إذا تأملت بها تُميز بين العالم الحقيقي ومن يتزيى بزي العلم وليس من أهله، وهذا قصد المؤلف لما أشار لك إلى الآيات في سورة البقرة.

"ثم صار هذا أغرب الأشياء! وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات وخيار ما عندهم: لبس الحق بالباطل!

يعني عند كثير من الناس:

- فتأتي إلى **الرافضة**، فتجد العلم عنده البدع والخرافات،
- وتأتي إلى **الصوفي**، فتجد العلم عنده البدع والخرافات،
- وتأتي إلى **المعتزلي**، فتجد العلم عنده علم كلام وفلسفة،

وهكذا.. يقررون للناس الفساد في الاعتقاد، والخلل أيضا في العبادات إلا من رحم الله.

"وصار العلم الذي فرضه الله على الخلق ومدحه، لا يتفوه به" في منظارهم "إلا زنديق أو مجنون! وصار من أنكره وعاداه وجدَّ في التحذير عنه، والنهي عنه؛ هو الفقيه العالم!!" يعني في منظار من ضل السواء السبيل.

الأصل الخامس

بيان الله سبحانه للأولياء، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعدائه المنافقين والفجار.

- **ويكفي في هذا آية (آل عمران)، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾** [آل عمران: 31]،
- **والآية التي في المائدة وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾** [المائدة: 54]،
- **وآية في سورة يونس وهي قوله﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾** [يونس: 62-63]،

ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هُداة الخلق، وحفاظ الشرع، إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسول، ومن اتبعه فليس منهم! ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم! ولا بد من ترك الإيمان والتقوى! فمن تقيد بالإيمان والتقوى، فليس منهم! يا ربنا إن نسألك العفو والعافية، إنك سميع الدعاء.

هذا الأصل الخامس فيه تنبيه على من هو الولي، والولي بيّنه الله عَجَّلَ في قوله ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 62-63] فإذن باختصار **الولي هو المؤمن التقي** الذي **جمع بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح**، وبهذا نعرف أن كل مؤمن إن شاء الله له نصيب من هذه الولاية، ولكن هل هم على الدرجة الواحدة؟ ليسوا على درجة واحدة، وإنما يتفاوتون في ولايتهم لله على حسب تفاوتهم في إيمانهم وتقواهم:

- **فالنبي** ﷺ ولي من أولياء الله،
- **والصحابي** ولي من أولياء الله،
- **والواحد من أفراد هذه الأمة** ممن وحد الله وآمن واتقى الله ولي من أولياء الله،

ولكن ليست الولاية كالولاية، فشتان بين هذه الدرجات، والمقصود أن المعنى الصحيح للولي هو الذي آمن بالله عز وجل واتقى الله سبحانه وتعالى.

وذكر المؤلف رحمه الله آية آل عمران ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] هذه الآية تُسمى آية الاختبار والامتحان، فبعض الناس يدعي محبة الله ورسوله ﷺ، فنقول له: الميزان هو الاتباع، فإن كان متبعًا لرسول الله ﷺ فهذا مؤمن وهذا ولي، وإن كان مخالفًا لله ورسوله ﷺ فهذا ليس بمحب حقيقة وليس كما ادعى.

كذلك في آية سورة المائدة يقول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54] فهذه صفات الأولياء، وصفات المؤمنين حقًا وصدقاً:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وعلامة محبتهم اتباعهم لأمره ولسنة رسوله ﷺ.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ كما الآية الأخرى ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29] وصف الله الصحابة، فهم يرحمون المؤمنين ويتذللون لهم بمعنى يتواضعون لهم.

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بمعنى أنهم لا يذلون لهم ولا يخضعون لهم ولا يداهنونهم في دين الله عز وجل، ولكن ليس معنى هذه العزة الظلم والتعدي، فالعزة مطلوبة والظلم والعدوان منهي عنه ومحرم.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بالسلاح والمال واللسان "جاهدوا المشركين بألسنتكم وأموالكم وأيديكم" كما يقول ﷺ، فيكون الجهاد باللسان بمعنى بالدعوة والعلم والبيان، ويكون الجهاد بالمال، ويكون الجهاد بالنفس.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ لا يمنعهم خوف انتقاد الناس وكلامهم أن يبينوا الحق ويقولوا بالحق، بعض الناس يرى الغلط لكن لا ينكر هذا الغلط، لماذا؟ هل يخاف من أن يُسجن أو يُضرب أو يُقتل؟ لا، وإنما يخاف أن يتكلم الناس عليه، ويخاف يسبونه، ويسخرون منه، فيدع قول الحق، وهذه خصلة مذمومة والعياذ بالله، وما أكثر ما نقع فيها، ولكن نحن في الغالب نسمي هذا التخاذل بالحياء، حتى نبحث عن عذر لأنفسنا، مثلاً رأيت شخصًا في المجلس يشرب بشماله، فأردت أن تنكر عليه ولكنك استحيت، "الحياء لا يأتي إلا بخير" وهذا الحياء جعلك تترك فعل الخير، وبالتالي فإن هذا ليس حياءً وإنما ضعف وخور، لكن يسميه حياء، كأنه يعتذر لنفسه، فإذن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو، اللهم إلا إن كنت مهددًا بأن تُضرب أو تُسجن أو أشد من ذلك، فهنا لك عذر إن شاء الله.

فبعض الناس يدعي أنه ولي لله، فيقول "أنا ولي لله" وهذا كثير عند الصوفية، فنقول:

أولا: أنه لا ينبغي ادعاء الولاية؛ لأنه تزكية للنفس:

📖 والله يقول ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: 32]

📖 ووبخ الذين يزكون أنفسهم فقال سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 49]

ثانيا: فبعض الناس يدعي هذا ولكن افرض أن هذا الشخص تكلم بأنه ولي من الأولياء، هل نصدقه مباشرة بأنه ولي؟ لا، لو صار يأتينا بأمور خارقة للعادة، وقال: أنا ولي، ودليل ولايتي أخرج خنجرًا وطعن بطنه إلى أن خرج طرف الخنجر من ظهره، أو أخرج سيفًا وضرب به عينه ثم لم يحدث لعينه شيء، أو مشى على الماء كما يمشي على الأرض، أو طار في الهواء، هل نصدقه بهذه التصرفات أنه صار ولياً؟ لا.

قال رجل للشافعي: "أسمعت ماذا يقول أخوك الليث؟ قال: ماذا يقول؟ قال: إذا رأيت الرجل يمشي على الماء، فلا تغتر به حتى تعرضه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،" يعني لا تغتر بكلامه وتقريراته وكلامه في الدين.

"قال: لقد قصّر الليث، لو رأيته يمشي على الماء أو يطير في الهواء" وهذا أعجب من أن يمشي على الماء "فلا تغتر به حتى تعرضه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

إذن هذا هو الميزان أن يُعرض كل من ادعى دعوى الولاية أو الإيمان أو غيره على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهذا الميزان الذي نميز به بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل، لأن الأولياء فرقتان:

- ❑ أولياء **للرحمن**،
- ❑ وأولياء **للشيطان**،

وقد ألف ابن تيمية كتابًا "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" وذكر فيه علامات فارقة تميز بين الصنفين، ومن جهل هذه العلامات اغتر بهم، انظروا الآن إلى دعاة الشرك والخرافة والوثنية يلبسون على الناس دينهم بدعوى أنهم أولياء لله عَزَّ وَجَلَّ ويموهون عليهم بالسحر والشعوذة والدجل وما يُسمى بخفة اليد وهذه الأشياء، والناس يصدقونهم، لأن ليس عندهم السلاح يواجهون به هذه الشبهات والأهواء فيغترون بهم، فعلى المسلم أن يكون على حذر من هذه الدعوات المضلة ومن أصحابها.

انظر إلى المسيح الدجال، يأتي بأشياء عظيمة جدًا، يأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ويأمر الخربة فتخرج كنوزها ويأتي إلى القرية فتكفر به فلا يغادرهم إلا وهم مرضى وفي فقر وفي محل وفي حال شديدة، ويأتي إلى القرية فتؤمن به فتسمن مواشيهم وتكثر ألبانهم وتنبت زروعهم.. شبهات عظيمة جدًا ولكن المؤمن ينجيه الله من فتنته:

- فيقرأ عليه فواتح **سورة الكهف**،
- ويقرأ الكتابة الموجودة **بين عينيه "كافر"**،
- ويرى **العور في عينه**، فيعرف أنه لو كان ربًا كما يقول لأصلح الفساد والخلل في عينه،

فهذه الشبهات مع قوتها، لكنها لا تنطلي على من كان عنده إيمان صحيح وعلم صحيح، وإنما تنطلي على أهل الهوى والجهل.

فأوصي نفسي وإياكم بالجد والاجتهاد في تحصيل العلم النافع، وفهمه حق الفهم وأن نكون على يقين من ديننا ومن عقيدتنا.

الأصل السادس

ردُّ الشبهة التي وضعها الشيطان، في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي: أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق؛ والمجتهد هو: الموصوف بكذا وكذا، أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر! فإن لم يكن الإنسان كذلك؛ فلْيُعرِضْ عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما؛ فهو إما زنديق، وإما مجنون، لأجل صعوبة فهمهما!! فسبحان الله وبحمده! كم بيَّن الله سبحانه شرعاً وقَدَراً، خلقاً وأمراً في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى، بلغت إلى حدِّ الضروريات العامة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 187]،

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: 7-11]

أراد المؤلف رحمه الله أن يقرر في هذا الأصل وجوب اتباع الكتاب والسنة، ثم بيَّن رحمه الله المسألة العجيبة وهي أن القرآن مليء بالأمر بتدبر القرآن الكريم وبالعمل به وبطاعة الله بما جاء في كتاب الله وطاعة رسوله ﷺ يعني باتباع ما جاء في سنته.

كم هي الآيات الآمرة بتدبر القرآن الكريم والتفكر فيه واتباعه والعمل بما فيه؟ كم هي نصوص السنة النبوية التي جاءت بهذا المعنى؟ كثيرة جدًا:

- قال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ **لماذا؟** ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]
- وقال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: 24] وهذا أسلوب ثانٍ،
- وقال أيضًا في أسلوب ثالث ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9] أي: خذوا الهدى منه.

فالشاهد أن الآيات الآمرة باتباع كتاب الله والاهتداء بما فيه كثيرة وبأساليب متعددة، متنوعة، وكلها تصب في معنى واحد وهو الأمر بالاهتداء بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ.

ثم بعد هذا البيان كله ما الذي حصل؟ نشأ أناس وادعوا أنه لا يمكن الانتفاع والاهتداء بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، لماذا؟ قالوا: لا يجوز لأحد أن يستدل بالكتاب وبالسنة النبوية ويستنبط منها الأحكام ويتبع ما فيها إلا المجتهد المطلق فقط.

من هو المجتهد المطلق؟ وضعوا شروطًا للمجتهد المطلق، كما يُقال بلغة اليوم "شروط تعجيزية" يعني أنها لا تكاد توجد في أحد، والنتيجة أنه لن ينتفع أحد بكتاب الله، فإذا كان لا ينتفع به إلا المجتهد المطلق، وهذا المجتهد المطلق شروطه كيت وكيت وهذه الشروط كما يقول الشيخ **"لا تكاد توجد تامة في أبي بكر وعمر"،** إذن النتيجة أنه لا يوجد أحد يستطيع أن ينتفع أو يهتدي بكتاب الله.

ومثلاً من بعض الشروط التي ذكروها:

- أن يكون **حافظًا للقرآن** الكريم كله،
- أن يكون **حافظًا للسنة** النبوية كلها لا يشذ عنه شيء منها،
- أن يكون **حافظًا للغة العربية** لا يفوته شيء منها،
- أن يكون **عالماً بأصول الفقه** لا يفوته شيء منها،
- أن يكون **عالماً بكذا وكذا**، لا يفوته شيء من هذه العلوم.

من الذي أحاط بالسنة النبوية كلها؟ من الذي يحيط بلغة العرب كلها؟ من الذي يحيط بهذه العلوم كلها لا يفوته منها شيء؟ فهي شروط كما يقال شروط تعجيزية يُراد منها صد الناس عن الانتفاع بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وبلغ الحال ببعضهم أن يقول: الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر، هل قال ذلك كاتب في صحيفة أو جريدة أو في تويتر أو في النت؟ لا، بل قال ذلك شخص فسّر القرآن الكريم وله حاشية على

تفسير الجلالين، ويقول: "أنه لا يجوز الخروج على المذاهب الأربعة؛ لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر".

فانظر إلى أين بلغ بهم الأمر حتى تفهم كلام المؤلف رحمه الله، أن هذا الكلام ليس من باب الفراغ، وإنما له في الواقع ما يدل عليه ويؤكده، أن هناك أناس تدعي أنك لما تأخذ من الكتاب والسنة للاستفادة منها واستنباط الأحكام، فإن ذلك زندقة وجنون وكفر وضلال والعياذ بالله.

لذلك قال: **"ومن طلب الهدى منهما؛ فهو إما زنديق، وإما مجنون"** وهذا زاد عليه وقال أنه هذا من أصول الكفر" لماذا؟ قالوا: **"لأجل صعوبة فهمهما!!"**:

- اقرؤوا سورة "القمر" فقط ففيها رد على هذا، كم مرة جاء فيها ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: 22]؟ أربع مرات، يسره الله ﷻ فهو ميسر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾،
- إذا كان القرآن لا يمكن أن يفهم، ما معنى قول الله ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾؟
- لماذا وبخ الله من وبخ في قوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾؟
- ما هي وظيفة الرسول إذن والله ﷻ يقول ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]؟
- كيف يكون القرآن لا يمكن فهمه؟ القرآن نزل بأي لغة؟ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]. يخاطب من؟ يخاطب أناسًا يفهمون هذه اللغة، فكيف إذا واحد يفهم لغة العرب ويقرأ القرآن ويقول أنه لا يمكن أن يُفهم؟

الناس واحد من اثنين:

- **إما عامي**، ليس عنده علم، فهذا وظيفته كما قال الله ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، يذهب ويسأل العلماء،
- وإما **مسلم لديه علم**، فهو طالب علم أو عالم، ويعرف آيات الأحكام ويعرف كيف يميز بين الحديث الصحيح والضعيف، إما باجتهاده ودراسته أو بالنظر إلى من يثق بعلمه وحكمه، يعرف الناسخ والمنسوخ وأن المنسوخ لا يعمل به، يعرف المطلق والمقيد، والخاص والعام، حتى لا يخطئ في هذه

الدلالات، فعنده شيء من علم التفسير، والاطلاع على المذاهب، ومباحث أصول الفقه، والتفسير، والحديث، التي تعينه على الفهم والاستنباط، فهذا ينظر في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، اللهم إن نزلت به مسألة ولا يستطيع البحث والنظر والاجتهاد فيها، ويخشى أن تفوت فحينها يسأل عنها أهل العلم.

أما شخص يعرف معنى كلام الله وكلام رسول الله ﷺ ويدع القرآن والسنة ويقلد غيره وحتى لو تبين له أن هذا الغير أخطأ وخالف الآية والحديث ثم يأخذ بقول الشيخ ويقول "أن الشيخ أعلم مني بكتاب الله وسنة رسوله!" طيب.. يا أخي الشيخ لما أفتى بهذه الفتوى التي تخالف الآية أو تخالف الحديث الصحيح:

- فربما غابت عن الشيخ هذه الآية،
- وربما لم يسمع بهذا الحديث،
- وربما وصله هذا الحديث من طرق ضعيفة، فالحديث عنده ضعيف ولكنه عندك صحيح،

فبأي حجة تدع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟

تذكرون ابن عباس لما اختلف مع بعض أصحابه من التابعين في موضوع متعة الحج، فهو يقول لهم أن رسول الله ﷺ أمر الناس بالمتعة، وهم يقولون: لا، أبو بكر وعمر حجا مفردين، فقال ابن عباس كلمته المشهورة: **"توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم: قال رسول الله، وتقولون: أبو بكر وعمر"**. كأنه يقول إذا تبينت لك سنة رسول الله ﷺ فلا يجوز لك أن تخالفها بقول أحد من الناس.

وأحمد رحمه الله يقول: **"عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يدعون قول رسول الله ويأخذون بقول سفيان وفلان وفلان"**.

فالواجب على المسلمين هو الإقبال على كتاب الله ﷻ وعلى سنة رسول الله ﷺ تفهمًا وتعلمًا وتفقهًا وطلب الهدى منهما واستنباط الأحكام والأدلة منهما، ولكن باب هذا الاستنباط ليس مفتوحًا لكل أحد، وإنما لمن كان أهلاً لهذا الاستنباط، وهم أهل العلم، أما الشخص الجاهل أو طالب العلم في بداية حياته

العلمية يقول: سوف أمسك المصحف وأفتي من خلال الآيات التي أمامي، فلا، أنت لا تمتلك الأصول التي تمكِّنك من الاستنباط الصحيح، وإذا فعلت هذا الشيء:

- فسوف **تصبح غدًا مثل الخوارج** الذين نزلوا الآيات التي نزلت في المشركين وجعلوها في المسلمين،
- أو **تصبح مثل المرجئة** الذين نظروا إلى الآيات التي في المعاصي وقالوا إن المقصود بها الكفار، فهم على نقيض الخوارج، فإذا جاءت معصية وفيها وعيد قالوا أن المقصود بها الكافر وليس المسلم،

فالخوارج ضلوا وهم يستدلون بالقرآن والمرجئة ضلت وهم يستدلون بالقرآن، ولكنهم ليسوا أهلاً للاستنباط والاستدلال، فجاؤوا بمثل هذه الضلالات.

وكما يقول الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله "فقد بلغ الحال ببعض هؤلاء من المتأثرين بهذه الفكرة أنهم كانوا يقولون لطالب يريد أن يدرِّس التفسير: إذا كنت تريد تدريس التفسير فاخرج أنت وطلابك من القرية، لا تدرس التفسير في القرية، لماذا؟ يقولون: حتى إذا نزلت عقوبة من السماء، حجارة أو صواعق أو غيره، تصيبك أنت وطلابك وتسلم القرية؛ لأن هذا منكر عظيم ومحاربة لله ﷻ، كيف تفسر القرآن؟".

فتخيلوا طلاب علم ينشؤون في مثل هذه البيئة، هل سيقبلون على كتاب الله إقبال من يريد فهم معنى كلام الله؟ لا، وإنما سيكون القرآن الكريم عبارة عن حرز يُقرأ للبركة، يقرأ لجلب الخير ودفع الشر، يُقرأ على الأموات وفي الحفلات، ولكن أن يكون كتاب هداية وطلب الهدى وبناء أحكام عليه؟ لا.

هذه الأفكار راجت في الأمة زمنًا طويلاً، لكن الحمد لله في هذا العصر وما قبله ظهرت دعوة السنة وانتشر طلاب السنة في البلاد ونفع الله بجهود أئمة هذا العصر الشيخ ابن باز، والشيخ الألباني والشيخ ابن عثيمين، وأمثالهم، ونفع الله بهم في المشارق والمغارب وبصر الله بهم كثيرًا من الناس، وصار عند كثير من الناس تعظيم للكتاب والسنة وطلب للأدلة وطلب للتمييز بين الأدلة الصحيحة والضعيفة، وهذه من بركات علماء السنة، نسأل الله أن يتغمد من مات منهم برحمته وأن يبارك فيمن كان حيًا، وأن يرزقنا اتباع سبيلهم.

"فسبحان الله وبحمده"

هذه كلمة يؤتى بها للتعجب، ولكنها ليست دائمًا للتعجب، وإنما أتى بها الشيخ للتعجب واستعظام هذا الأمر، فالإنسان إن رأى شيئًا غريبًا فلا بأس أن يقول: سبحان الله أو الله أكبر، شيخ الإسلام محمد بن عبد

الوهاب في كتاب التوحيد ذكر أن في حديث أبي واقد الليثي حديث "ذات أنواط" ماذا قال النبي ﷺ لما قيل له **"اجعل لنا ذات أنواط"؟ قال: الله أكبر!"** قال **"أن في الحديث مشروعية التكبير عند التعجب، خلافًا لمن كرهه".**

وابن حجر رحمه الله في "فتح الباري" لما شرح تبويب "البخاري" "باب التكبير عند التعجب" قال: "**كأنه يرد بها على من كرهه**"، يعني كأن بعض أهل العلم كره أن تقول الله أكبر عند التعجب أو سبحان الله عند التعجب، لماذا؟ كأنهم والله أعلم يقولون "التسبيح ذكر يراد به تنزيه الله عَزَّ وَجَلَّ، فأنت لما تقوله للتعجب، كأنك استعملت هذا الذكر في غيره موضعه"، نقول: لا، هو ذكر وأيضًا من مواطن هذا الذكر عند التعجب كما فعل رسول الله ﷺ.

"فسبحان الله وبحمده"

- **التسبيح**: تنزيه الله عما لا يليق،
- **والحمد**: وصف الله عَزَّ وَجَلَّ بصفات الجلال والكمال.

"كم بيَّن الله سبحانه" كم تفيد التكثير، أي: ما أكثر؟!

"شرعاً وقَدَرَاً"

- ❑ **شرعا**: هي الأوامر التي فيها الأمر بتدبر وتفهم القرآن.
- ❑ **قدرا**: تأتي بشخص يفهم اللغة العربية وتعطيه آية واضحة اللغة، فيعرف معناها من خلال لغة العرب، يعني مثلاً لو سمع شخص يفهم لغة العرب قول الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما معنى هذه الآية؟ بشكل عام سوف يقول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أن ذلك مدح لله وثناء عليه أو يفهم النسب، لا، لا يفهم النسب، بل يقول الحمد والثناء الشكر و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أيضا كل الكلام من حيث اللغة العربية واضح ومفهوم، أما هذا يقول هي صعبة الفهم، ما دام أنها في القرآن لا يمكن أن تُفهَم.

هناك آيات تحتاج إلى نظر وبحث وتأمل، وفيها أحكام عقدية وأحكام فقهية وغيرها، وتحتاج إلى أن تنظر إلى كلام العلماء فيها وهل هي ناسخة أم منسوخة أو خاصة أم عامة أو مطلقة أم مقيدة، فهذا أمر آخر، ولكن أن يُقال أن كتاب الله لا يمكن فهمه أبدًا، لا للعامي ولا للذكي ولا للبليد ولا للعالم ولا لطالب العلم، فذلك إنما يراد منه صد الناس عن الكتاب والسنة.

وأيضًا من جهة القدر، كم عدد طلاب العلم والعلماء الذين استنبطوا من كتاب الله أحكاما صحيحة؟ كثير ولله الحمد، في الزمن الماضي وفي الزمن الحاضر وسوف يكون أيضًا في الزمن المستقبل ما دامت هذه الطائفة المنصورة موجودة.

كم بيَّن الله سبحانه شرعاً وقدَراً، خلقاً وأمراً في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى، بلغت إلى حدِّ الضروريات العامة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 187].

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: 7-11]

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً﴾ الأغلال جمع غُل، وهو القيد الذين يكون في الرقبة.

﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ القيد بالعادة يكون سلسلة، حلقة في أسفل الرقبة وتنزل وتتكئ على الكتف، ولكن هذه السلسلة التي يضعها الله في أعناق هؤلاء قال **﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾** أي أن حلقات السلسلة عريضة أو لها عدّة حلقات، فغطت الرقبة كاملة حتى وصلت إلى الذَقَن، إذا وصل السلسلة إلى الذقن لا يستطيعون أن ينزلوا رؤوسهم فهذا معنى **﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾** أي أن أبصارهم ورؤوسهم مرفوعة.

﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ يعني أمامهم **﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾** يعني مسدود عليهم طريق الهدى فلا يصل إليهم:

- **الهدى يأتي من الأمام** هناك سد،

- **الهدى يأتي من الخلف** هناك سد،

- **الهدى يأتي من أمام أبصارهم،** أبصارهم عليها غشاوة، فلا ترون الهدى ولا يصل إليهم الهدى،

وكما جاء في الحديث "**كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا**" تريد مثلاً أن تملأ هذه العلبة بالماء ولكن فمها إلى الأرض، وأنت تريد أن تملأها بالماء، فالماء من الأسفل لا يجيء، فلا يصل الماء إلى جوفها وينزلق يميناً وشمالاً ولا يدخل إليها، فهؤلاء قلوبهم هكذا، أفواهها مغطاة في الأسفل، فلا يستطيع الهدى أن يدخل إليها، مسدود طريق الوصول إلي قلوبهم.

السؤال: لماذا جعل الله عَزَّ وَجَلَّ بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا وأغشاهم فلا يبصرون ولا يهتدون؟ لأنهم أهل لذلك، لأنهم عُرض عليهم الحق فرفضوه:

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5]

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: 110] يعني أول مرة أعطيناكم الحق وفهمتموه وعرفتم أنه حق، ولكنكم أبيتم أن تقبلوه، فعُوقبوا بالحرمان منه، فلم يُعُدْ يصل إلى قلوبهم، فذلك بسبب ظلم من عند أنفسهم ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني لا ينتفعون.

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾ يعني فينتفع بالنذارة ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

إذن الخلاصة أن هذا الأصل يريد منه المؤلف رحمه الله تنبيهك على ضرورة اتباع الكتاب والسنة وضرورة الاهتداء بهذا المصدر العظيم وهو كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، وبالتالي يحذرك من الانصراف عن الاهتداء بهما بدعوى أن القرآن والسنة لا يمكن لأحد أن يفهمهما.

أسئلة الدرس

سؤال: أحسن الله أيكم، كيف نجمع بين قال الله تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ وبين قوله ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾؟

جواب: لا يوجد تعارض بين الآيتين، قول الله ﷻ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5] **بمعنى** أن فيه تكاليف، فيه أمر بالدعوة إلى التوحيد ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: 2] وهذه الدعوة سيكون لها تبعات، سيُكذّب، سيُخوَّن، سيُطرَد، سيقتَل لو قدروا على قتله، ويُسجن لو قدروا على سجنه، فهذا جزء من الثقل الذي فيما سيُلقى عليه، ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: 67] ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: 112] كل هذه تكاليف ثقيلة فيها أوامر وفيها نواهٍ ووراءها تبعات كما سبقت الإشارة، فمن هذه الجهة في هذا الوحي ثِقَلٌ،

وأيضًا هناك ثقل جسدي، ثقل حسي:

- فالوحي إذا نزل على النبي ﷺ يحصل له مثل **الإغماء** من شدة الوحي،
- ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فلا يتفصم عنه الوحي إلا **والعرق يتصبب** من جبينه، أنت لا تعرق في البرد الشديد إلا من شيء عظيم،
- ينزل عليه الوحي وهو على ناقته، **والناقة لا تتحمل فتبرك**،
- ينزل عليه الوحي **وفخذه على فخذ زيد بن ثابت** فيقول: "يكاد فخذي يُرضّ"، أي: ينكسر. فهذا ثقل حسي وقت نزول الوحي.

فهو ثقيل من جهة الأوامر والتكاليف، وميسر من جهة الفهم، ففهم القرآن يسير بإذن الله، كذلك هذه التكاليف وإن كانت ثقيلة إلا أن القيام بها يسير على من يسرها الله لهم، والله أعلم

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.